

الوساطة

بين

المتنبى وخصومه

للجرجاني

٢٩٠ - ٣٦٦ هـ



تعريف بالمؤلف :

هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي ، كان فقيهاً أدبياً شاعراً ، ولد ديوان شعر ، وهو القائل :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

(١٨٤)

ويوقل الثعالبي عنه : هو فرد الزمان ونادرة الفل ، وإنسان حدقة العلم ، وقية تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتری ، وقد كان في صباه خلف الخفير في قطع الأرض وتدويج بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً ، وفي الكمال عالماً ، وأوردك مقاطيع كثيرة من الشعر ، فمن ذلك قوله :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك
لا تجفه وارع له حقه فإنه آخر عشاقك (١٨٥)

ويوقل صاحب الشذرات كا قاضياً بجرجان ثن بالرى ، وفيه يقول الصحاب ابن عباد :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها (١٨٦)

وروى صاحب الشذرات من أشعاره قوله :

لأرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما

١٨٤ - طبقات الفقهاء للشيرازي ٣٥ .
١٨٥ - وفیات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٢٧ وما بعدها - دار صاير بيروت سنة ١٩٧٠ - ويثيمة الدهر للثعالبي ٤ / ٣ .
١٨٦ - شذرات الذهب في خبر من ذهب للعماد الحنبلي ٣ / ٥٦ .



وما كل برق لاح لى يستفرنى
ول كل من لاقبت أراضه منعما
وانى إذا ما فاتنى الأمر لم أبت
أقلب كفى إثره متندما
ولم أفض حق العلم إن كان كلما
بدا طمع سيرته لى سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتل الظما (١٨٧)

وطاف فى صباه الأقاليم ولقى العلماء ، وقبس العلوم والآداب ، والتقى
بمشايخ وقته ، وعلماء عصره ، وسمع الحديث وترقى فى العلوم حتى أقر له الناس
بالتفرد . ومن جيد شعره قوله :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما

ومن مستجاد شعره قوله :

ما تطعمت لذة العيش حتى
صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس عندى شيء ألد من ال
علم فما أبتغى سواه أنيسا (١٨٨)

كما كان القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجانى عالما
باللغة أخذ عن أبى عبيدة وروى عنه على بن إبراهيم القطان (١٨٩) .

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجانى قد قرأ عليه ، واغترف من بحرهِ ، وكان
إذا ذكره فى كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه (١٩٠) .

مؤلفاته :

للقاضى الجرجانى عدة تصانيف ، وكثرة كاثرة من التأليف منها :

- ١٨٧ - ذاته ٥٧ . بتصرف .
١٨٨ - راجع البداية والنهاية لابن كثير الدمشقى ٣٣١ ، ٣٣٢ ط الخامسة ١٩٨٣ م - ١٤٠٤ هـ - المعارف بيروت - لبنان .
١٨٩ - نزهة الألباء ١٤٧ .
١٩٠ - معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٤/١٤ تبخبخ الرجل : أى قال : بخ بخ .



كتاب تفسير القرآن المجيد ، وكتاب تهذيب التاريخ ، وكتاب الوساطة بين المتبى
وخصومه ، وفى هذا الكتاب يقول بعض أهل " نيسابور " :

أيا قاضيا قد دنت كتبه

وإن أصبحت داره شاحطة

كتاب الوساطة فى حسنه

لعقد معاليك كالواسطة (١٩١)

وكان له ديوان شعر جمع بين العذوبة والجزالة ، وتترقق فيه شمائله السمحة
الرصينة (١٩٢) .

مولده ووفاته :

ولد القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فى جرجان سنة تسعين
ومائتين ، وكانت الدولة الإسلامية قد بلغت نضجها العلمى وعرف له صاحب
فضله فولاه قضاء الرى ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر فى الدنيا ، وتوفى
فى سلخ صفر سنة ست وستين وثلاثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة (١٩٣) .
وصلى عليه القاضى أبو الحسن عبد الجبار ابن أحمد ، وحضر الوزير الحضير
مجد الدولة وأبو الفضل العارص راجلين (١٩٤) .

وفى البداية والنهاية للدمشقى : أنه توفى سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة (١٩٥)
وفى معجم الأدباء مات بالرى يوم الثلاثاء بست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين
وتسعين وثلاثمائة وهو قاضى القضاة بالرى حينئذ (١٩٦) .
ويؤيد ذلك القول صاحب تاريخ أدب اللغة العربية (١٩٧) .

١٩١ - معجم الأدباء .

١٩٢ - راجع وفيات الأعيان لابن خلكانز

١٩٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق الدكتور / احسان عباس ٣ / ٢٨١ .

١٩٤ - تاريخ النيسابوريين بالحاكم .

١٩٥ - البداية والنهاية لابن كثير ١١ / ٢٣٢ وما بعدها .

١٩٦ - معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٥ .

١٩٧ - تاريخ أدب اللغة العربية لجرجى زيدان ٢ / ٣٩٢ .



ويذكر صاحب " النزهة " أنه توفي في سنة سبع وثمانين ومائتين^(١٩٨) وذكر صاحب الشذرات^(١٩٩) فقال : " وطاف في صباه الأقاليم " .
ولقى العلماء وصنف كتاب " الوساطة بين المتنبى وخصومه " . ومات بنيسابور سنة ست وستين وثلاثمائة ، وحمل تابوته إلى جرجان^(٢٠٠) ودفن بها وبذلك يوافق ما أثبتته الحاكم في تاريخه وهو أثبت الآراء وأصحها .

بين يدي الكتاب :

وصل النقد في القرن الرابع إلى أوج عظمته ، واتسعت آفاقه ، واعتمد أول ما اعتمد على الذوق الأدبي في الفهم والتحويل للنص الأدبي مستندا في ذلك أيضا إلى النطق الصائب ، والفكرة السديدة^(٢٠١) واختفى أو كاد من حليته اللغويون والنحاة ، وحمل رايته الأدباء ، وكان نقدهم متميزا بالاستقصاء ، وشمول الفكرة والموازنة العامة بين الشعراء ، كما أنهم عنوا عناية فائقة بدراسة الشعر ، وتقدير رجاله ، وتخاصموا فيهم ، فهذا يختصر لأبى تمام ، وذاك يتشيع للبحثري ، وآخر يرفع من قدر المتنبى ، وينسبون كل فضل إليه في الشعر . وفريق ينتقص من قدره ويهون من شأنه ، ويتهمون به بالمعازلة والتعقيد ، وسارت تلك الأحاديث في كل مكان ، وكان من بين هؤلاء : أبو الفرج الأصفهاني ، وابن العميد صاحب بن عباد ، وأبو على الحاتمي وابن لنكك البصري والآمدى والجرجاني .

بيد أن الجرجاني كان أصرح هؤلاء جميعا في نقده ، كما كان أوسعهم أفقا ، حيث أن ظهور المتنبى شغل الناس وملاً ذكره الأسماع وطبقت شهرته الآفاق ، وذكر سيرته القاضي والداني ، وحسبنا في ذلك المقام ما ذكره ابن رشيق القيرواني حيث يقول : " واختصم الأدباء في شعره " وقطعوا الأزمان المتواصلة في تحديد

^{١٩٨} - نزهة الأدباء لابن الأنباري ص ١٤٧ .
^{١٩٩} - شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي ج ٣ ص ٥٦ وما بعدها .
^{٢٠٠} - جرجان مدينة عظيمة من ناحية خراسان .
^{٢٠١} - راجع تاريخ النقد الأدبي للأستاذ / طه أحمد إبراهيم ص ١٤٧ بتصرف .



أغراضه ، وتعصب له فريق وغض من شأنه فريق ، وكان من الذين غضوا من شعره صاحب بن عباد ، وألف فيه رسالة سماها " الكشف عن مساوى المتنبي " أقامها على التنقص منه ، والخط من مقداره . وقد ذكر الرواة أن صاحب كان هين المكانة حين وفد المتنبي على ابن العميد ، وكان يود لو قصده أبو الطيب ، فلما تجاهله جزع وسخط ، وألف فيه هذه الرسالة ، وذكر فيها من شعر المتنبي أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهاها ، وكان أبو الفتح عثمان بن جنى من ناحية أخرى يرفع من مقداره ويشيد من ذكره ، وأصبح لكل منهما أشياء^(٢٠٢)

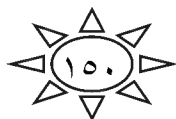
وفي خضم هذه الأحداث ألف القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني فى كتابه : " الوساطة بين المتنبي وخصومه " . يقول الثعالبي : ولما عمل صاحب رسالته المعروفة فى إظهار " مساوى المتنبي " عمل القاضي أبو الحسن كتابه : الوساطة بين المتنبي وخصومه فى شعره ، فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب واستولى على الأمر فى فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره فى الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار فى البلاد ، بغير جناح ، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور :

**وإن أصبحت داره شاحطة
لنقد معاليك كالوساطة^(٢٠٣)**

**أيا قاضيا قد دنت كتبه
كتاب الوساطة فى حسنه**

ويقول حاجى خليفة : " أما القاضي أبو الحسن فإنه ادعى التوسط بين خصوم المتنبي ومحبيه ، وذكر أن قوما مالوا إليه حتى فضلوه فى الشعر على جميع أهل زمانه - وقوما لم يعدوه من الشعراء وازدروه غاية الازدراء حتى قالوا ك إنه لا

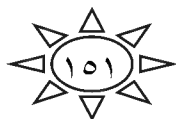
^{٢٠٢} - العدة لابن رشيق القيروانى .
^{٢٠٣} - راجع يتيمة الدهر للثعالبي .



ينطق إلا بالهوى ، ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء ، ومعانيه كلها مسروقة ، فتوسط بين الخصمين ، وذكر الحق من القولين " (٢٠٤) .

وليس كتاب الوساطة مختصا بشعر المتنبي كما يفهم من عنوانه ، بل تعرض للأصول الأدبية المعروفة فى عصره ، كما حل شعر القدامى والمحدثين ، وذكر كثيرا من معانيهم ومحاسنهم وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض وسرقة واستعارة حسنة كانت أو رديئة ، ثم تعرض للبيئة وما لها من أثر فى الشعر ، وما للبداءة من جفوة فى الطبع ، وما ينشأ عن الحضارة من رقة فى اللفظ ، وسهولة فى العبارة ، وعذوبة المعانى ومتانة التركيب ، ثم عرض بعد ذلك لخصوم المتنبي وأنصاره ، والمعانى المأخوذة أو المبتكرة ، تعرض لذلك كله بأسلوب سلس ، وعبارة سهلة ، واضحة كما يتبين لك أثناء مطالعتك الكتاب .

٢٠٤ - كشف الظنون عن أسامى العلوم والفنون لحاجى خليفة .



نماذج من الكتاب

النموذج الأول : السرقات الشعرية :

لست تعد من جهايزة الكلام ، ونقاد الشعر ، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علماً برتبه ومنازله ، وتفصل بين السرقة والغصب ، وبين الإغارة والاعتداء ، وتعرف الإمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك الذى لا يجوز ادعاء السر فيه ، والمبتذل الى ليس له أحد أولى به ، وبين المختص الذى حازه المبتدئ فملكه وأحياء السابق فاقتطعه ، فصار المعتدى مختلساً سارقاً ، والمشارك له محتزياً تابعاً وتعرف اللفظ الذى يجوز أن يقال فيه : أخذ ونقل ، والكلمة التى يصح أن يقال فيها : هى لفلان دون فلان (٢٠٥) .

فمتى نظرت فرأيت أم تشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر والبليد البطيئ بالحجر والحمار ، والشجاع الماضى بالسيف والنار ، والصبر المستهان بالمخبول فى حيرته ، والسليم فى سهره ، والسقيم فى أنيه وتألمه أمور متفرقة فى النفوس متصورة للعقول ، يشترك فيها الناطق والأبكم والفصيح والأعجم والشاعر والمفحم حكمت بأن السرقة عنها منتفية ، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع وفصلت بين ما يشبه هذا ويباينه ، وما يلحق به وما يتميز عنه ، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع ، فوجدت منه مستفيضاً متداولاً متشاقلاً لا يعد فى عصرنا مسروقاً ، ولا يحسب مأخوذاً ، وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به ، وأوله

٢٠٥ - الوساطة بين المتنبي وخصومه للمرجاني ص ١٨٣ .



الذى سبق إليه كتشبيه الطلل المجبل بالخط الدارس وبالبرد النهج ، والوشم فى المعصم والظعن : المتحمة بالنخل وعلائقها بأعناق البسر والفحل بالفدن المشيب (٢٠٦) والظليم المهيج بأحقب (٢٠٧) يسوق أنته ، وكوصف الحمول وموران الآل بها ، وذن الغراب والصرد ، والسانح ، البارح ، وسؤال المنزل عن أهله ، والتفجع لمن استبدل بعد ساكنه ولوم النفس على بكاء الدار ، واستعطاف العقل ، واستيطاء الصبر وتحسينه تارة وتقبيحه أخرى ، وتشبيه الفرس باللقوة (٢٠٨) والطبي يشهاب قذف ، والعقاب بالدلو التى خانها الرشاد ، وكوصف الغيث بالعموم والتطبيق ، واقتلاع الدوح ، والتفريق الوحش ؛ وتشبيه دفعه بعط المزاد ، وحل العزال ، ووصف البرق بخطف الأبصار ، وسرعة الملح ، وأنه كالقبس من النار ، وكالحريق المتضرم ، وكمصباح الراهب .

هذه بأعيانها دون غيرها ، ولم أورد لها إلا دلائل على أمثالها ، فإذا اعتبرت لها تصنيفت لك صنفين ، إما مشترك عام الشركة لا ينفرد أحد منهم بسهم لا يساهم عليه ولا يختص بقسم لا ينازع فيه ، فإن حسن الشمس والقمر ومضاء السيف وبلادة الحمار وجودة الغيث ، وحيرة المخبول ونحو ذلك مقرر فى البداية وهو مركب فى النفس تركيب الخلقة ، وصنف سبق المتقدم إليه ففاز به ، ثم قدومك بعده فكثير واستعمل ، فصار لأول مرة فى الجلاء والاستشهاد والاستفاضة على ألسن الشعراء فحمى نفسه عن السرقة ، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ ، كما يشاهد ذلك فى تمثيل الطلل بالكتاب والبرد ، والفتاة بالغزال فى جيدها وعينيها ، والمهابة فى حسناتها وصفائها ، ومتى شئت أن ترى ما وصفته عيانا ، وتعلمه يقينا فاعترض أول مما غفل تستقبله ، وأعجمى جلف تلقاه ثم سلّه البرق فإنه يؤدى إلى معنى قول عنتره (٢٠٩):

٢٠٦ - الفدن : القصر المرتفع .
٢٠٧ - الأحقب : حمار الوحش الذى فى بطنه بياض .
٢٠٨ - اللقوة بفتح اللام وكسر ها : السريعة اللقاح من ناقة وعقاب والمرام : الاضطراب . والسانح : ما أتاك عن يمينك ، والبارح : ما أتاك عن يسارك .
٢٠٩ - الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ١٨٤ .

ألا يا ما لذا البرق اليماني يضى كأنه مصباح بان

وهذا البيت غير موجود فى الديوان .

وإن لم يذكر لك البان لجهله بمادة العرب فى الاستصباح به ، ولأنه لم يعرف عنه ما عرفه عنتره ، ومضى امرؤ القيس فى قوله :

يضى سنه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المقتل (٢١٠)

وهيهات أن يعترض لك الأديب الفطن لقول عامر الثقفى :

كأن ريقه لما علا سبطاً أقرب أبلق يتقى الخيل رماح

وقول آخر :

ونرى البرق عارضاً مستطيراً مرح البلق حلن فى الإجلال

إلا عن رواية كثيرة ، أو فكر طويل ، ولو سمعت قائلًا يقول : إن فلانا الشاعر أخذ عن فلان قوله : لا مرحبا بالشيب ، وحبذا الشباب ، وكيف لو عاد ، ويا أسفى لفراق الأحبة ، وما لذت العيش بعدهم ، وفاضت عيني صباية لذكرهم . لحكمت بجهله ، ولم تشك فى غفلته ، وقد يكون فى هذا الباب ما تتسع له أمة وتضييق عنه أخرى ، ويسبق إليه قوم دون قوم لعادة أو عهد ، أو مشاهدة أو مراس كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريكة النعامة ، ولعل فى الأمم من لم يرها ، وحمرة الخدود بالورد والتفاح ، وكثير من الأعراب من لم يعرفهما ، وكأوصاف الفلاة ، وفى الناس من لم يصحر وسير الإبل ، زكثير منهم من لم يركب ، ويتفاضل متنازعو هذه المعانى بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر فتشترك الجماعة فى الشيء المتداول ، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع

٢١٠ - راجع الديوان ص ٤١ ورواية الديوان هكذا :

يضى سنه أو مصابيح راهب
أهان السليط بالذبال المقتل
السليط : الزيت . الذبال : جكع ذبالة : وهى الفتيلة .



موضعه أو زيادة اهتدى لها دون غيره ، فيزيل المشترك المبتذل فى صورة
المخترع^(٢١١) كما قال لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر بجد متونها أقلامها(٢١٢)

فأدى إليك المعنى الذى تداوله الشعراء ، قال امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور فى عسيب يمانى(٢١٣)

وقال حاتم :

أتعرف أطلالا ونؤيا مهديا كخطك فى رق كتابا منمنما(٢١٤)

وقال الهذلى :

عرفت الديار كرسم الكتا ب يزبره الكاتب الحميرى(٢١٥)

وأمثال ذلك مما لا يحصى كثرة ، ولا يخفى شهرة ، ويبين بيت لبيد ومن
بينهما ما تراه من الفضل وله عليها ما نشاهد من الزيادة والشف^(٢١٦) .

ولم تزل العامة والخاصة تشبه بالخدود ، والحدود بالورد نثرا ونظما وتقول
فيه الشعراء فتكثر وهو من الباب الذى لا يمكن ادعاء السرقة فيه إلا بتناول زيادة
تضم إليه أو معنى يشفع به كقول على بن الجهم :

عشية حياتى بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن إلى بعض(٢١٧)

^{٢١١} - يضىء سناه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المقتل

السليط : الزيت . الذبال : جمع ذبالة : وهى الفتيلة .

^{٢١٢} - راجع لسان العرب لابن منظور مادة زبر والعمدة لابن رشيق القيروانى ج ١ ص ١٩٧ وشرح المعلقات للتبريزى
ص ١٢٨

^{٢١٣} - الوساطة ص ١٨٧ .

العسيب : سعف النخل ورواية الديوان هكذا :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط الزبور فى العسيب اليماني

^{٢١٤} - راجع شعراء الفصرائية ص ١١٨ .

^{٢١٥} - الوساطة ص ١٨٧ . واللسان لابن منظور مادة " دوى " وهو مروي هكذا :

عرفت الديار كخط الدوى حيرة الكاتب الحميرى

^{٢١٦} - الشف بالفتح والكسر . الفضل والزيادة والمعروف بالكسر .

^{٢١٧} - الوساطة ص ١٨٧ .



فأضاف بعضهم له ، وإن أخذ فمنه يؤخذ وإليه ينتسب ، كقول ابن المعتز :

بياض فى جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود

والخجل إنما يحمر وجنتاه ، فإما منبت الأصداع ، ومحط الأصباغ فقليلا ما يحمران ، فهذا التمييز مسلم له ، وإن لم يكن يسبق إليه ولو اتفق له أن يقول :

حمرة فى جوانبها بياض

لكان قد طبق المفصل وأصاب الغرض ورافق شبه الخجل ، لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان فجعل الاحمرار فى جوانب البياض ، فراغ عند موقع التشبيه ، ثم قال أبو سعد المخزومى :

والورد فيه كأنما أوراقه نزعته ورد مكانهن خدود

فلم يزل على ذلك التشبيه المجرد ، لكنه تامه هذا اللفظ الرشيق . فصرت إذا قسته إلى غيره ، وجدت المعنى واحدا . ثم أحسست فى نفسك عنده هزة ووجدت طربة . نقله لها أنه انفرد بفضيلة لم يتنازع فيها .

التفنن فى السرقة

وحتى لا يغرك من البيتين المتشابهين أحدهما نسيبا والآخر مديحا ، وإن يكون هذا هجاء وذاك إفتخارا ، فإن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه ، وصنفه ، وعن وزنه ونظمه ، وعن رويه وقافيته ، فإذا مر بالغبى الغفل وجدهما اجنبيين متباعدين ، وإذا تأملهما الفطن الذكى عرف قرابة ما بينهما والوصلة التى تجمعهما .

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل (٢١٨)

٢١٨ - الديوان - الأمالى لأبى على القالى ص ١١٩ ج ٣ .



وقال أبو نواس :

ملك قصور في أن القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان (٢١٩)

فلم يشك عالم في أحدهما من الآخر وأين كان الأول نسيبا والآخر مديحا .

النموذج الثاني – سرقات المتنبي

وهذا ما ادعى على أبي الطيب فيه السرقة ، وما أضيف إليه مما عثرت به ،
قام أبو تمام ، وقد روى هذا البيت لبكر بن النطاح وقد دخل في شعر أبي تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله (٢٢٠)

وقال أبو الطيب :

**يأيها المجدي عليه روحه إذ ليس يأتيه لها استجداء
أحمد عفاتك لا فجعت بفقدهم فلترك ما لم يأخذوا إعطاء (٢٢١)**

وبيت أبي تمام أبو بكر بن النطاح أملح لفظا وأصح سبكا .
وزاد أبو الطيب بقوله :

إنه يجدي عليه روحه . ولكن في اللفظ قصور . والأول نهاية في الحسن .

ثم نقل المعنى من الروح إلى الجسد فقال :

لو اشتهد لحم قاريها لبادرها خراذل منه في السن وأوصال (٢٢٢)

وهذا هو الاول ومن جاد بأوصاله فقد جاد بروحه ، وكأنه من قول ابن الرومي :

٢١٩ - الديوان . ص ٣٥٩ - راجع الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ص ٢٠٥ تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم . وعلى محمد البيجاوي ط : عيسى الحلبي .

٢٢٠ - الديوان ص ٢٣١ . والتبيان ص ٢٦ .

٢٢١ - الديوان ص ٢٦ ج ١ .

٢٢٢ - الديوان ص ٢٨١ ج ٣ .



لو حشر من جسمه لسائله

أنفس أعضا لما ألما (٢٢٣)

ويقول الأعشى :

ولو أسندت ميتا إلى نحرها

عاش ولم ينقل إلى قابر (٢٢٤)

وقال أبو الطيب :

فذقت ماء حياة من مقيلها

لو صاب تربا لأحيا سالف الأمم (٢٢٥)

وهذا معنى متداول بعد الأعشى ، وقد قيل فيه ما كثر .

والسرق - أيدك الله - داء قديم وعيب عميق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ، وكان أكثره ظاهرا كالتوارد الذى صدرنا بذكره الكلام ، وإن تجاوز ذلك قليلا فى الغوص لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ . ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب وتغيير المنهاج والترتيب ، وتكفلوا جبر ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض فى حال ، والتصريح فى أخرى والإحتجاج والتقليل فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الامور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله .

وقد ادعى جرير على الفرزدق السرق فقال :

سيعلم من يكون أبوه فينا

ومن عرفت قصائده إجتلابا (٢٢٦)

وادعى الفرزدق على جرير فقال :

إن استراقك يا جرير قصائدى

مثل ادعائك سوى أبيك تنقل (٢٢٧)

٢٢٣ - الديوان ص ٢٨١ ج ٣ .

٢٢٤ - ديوان الأعشى .

٢٢٥ - الديوان ص ٢٧ ج ٤ .

٢٢٦ - ديوان جرير ص ٦٢ .

٢٢٧ - النقاىص ج ١ ص ١٨٩ .

ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ثم العصر الذى بعدنا أقرب فيه إلى
المعذرة ، وأبعد عن المذمة ؛ لأن من تقدمنا قد استترق المعانى وسبق إليها وأتى
على معظمها ، وإنما يحصل على بقايا ، إما أن تكون تركت رغبة منها واستهانة
بها أو لبعد مطلبها واحتباس مرامهما وتعذر الوصول إليها ، ومتى أجهد أحدا نفسه
وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيت
يحسبه فردا مخترعا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له
مثالا بعض من حسنه ، ولهذا السبب أحظر على نفس ولا أرى لغيرى ثبت الحكم
على شاعر بالسرقة وقد أحسن أحمد بن أبى طاهر فى محاجة البحتري لما ادعى
عليه من السرقة قوله :

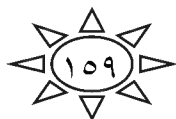
والشعر ظهر طريق أنت راكبه **فمنه منشعب أو غير منشعب (٢٢٨)**
وربما ضم بين الركب منهجه **وألقى الطنب العالى على الطنب**

إلا أنى إذا وجدت فى شعره معانى كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذا
لا أثبته بعينه ، ومسروقا لا يتميز لى من غيره ، وإنما أقول : قال فلان كذا وقد
سبقه إليه فلان فقال : كذا فاعتنم به فضيلة الصدق وأسلم من اقتحام التهور (٢٢٩) .

ونحن نميل إلى هذا الرأى الذى لا يجزم بسرقة شاعر من شاعر آخر حيث
الألفاظ اللغوية مشتركة بين الجميع ، ويمتلك أزمته كل الشعراء ، وقد يأتى الخلاف
فى تناول الفكرة ، وحسن التداول ، وقد يكون هناك توارد الخواطر ، ولقاء بين
الشاعرين فى الفكرة والإحساس ، وتدفق الشعور ، واتقاد الذهن ، ورهافة الحس ،
ومن هذا المنطلق كان الحكم على سرقة شاعر من آخر قد يكون تجنيا وظلما ،
وغمطا للحقوق ، كما أنه جور فى إستصدار الأحكام ، ولا تستبعد أن يقبس شاعر
من آخر فكرة ثم يعبر عنها بأسلوبه المنبعث من ذاته لا من ذوات الآخرين ، وربما

٢٢٨ - الوساطة ص ٢١٤ وما بعدها .

٢٢٩ - الوساطة ص ١١٥ .



يتوافق أن يقول الشاعر قولاً ثم يأتي الآخر بطرف منه كجزء من بيت ، أو بعض الألفاظ التي وردت في بيت من الأبيات ، فربما يكون من توارد الخواطر أو من باب المحاكاة وترويض القريحة ، وذلك بأن يقول في نفس المعنى الذي تناوله ذلك الشاعر . ومن ثم يظهر الفارق واضحاً جلياً بين الشاعرين في طريقة التناول للمعاني ، وحسن استخدام الألفاظ ، وجلال المعنى . ومن هنا كان احتجاج " أحمد بن أبي طاهر " على " البحتري " لما ادعى عليه السرقة في قوله :

والشعر ظهر طريق أنت راكبه **فمنه منشعب أو غير منشعب**
وربما ضم بين الركب منهجه **وألصق الطنب العالي على الطنب**

وهذا ما ادعى على أبي الطيب المتنبي فيه السرقة .
قال أبو تمام :وقد روى هذا البيت لبكر بن النطاح وقد دخل في شعر أبي تمام

ولو لم يكن في كفه غير نفسه **لجساد بها فليتنق الله سائله**

قال أبو الطيب المتنبي :

يأيها المجدى عليه روحه **إذ ليس يأتيه لها استجداء(٢٣٠)**
أحمد عفاتك لا فجعت بفقدهم **فلترك ما لم يأخذوا إعطاء**

وبيت أبي تمام أو بكر بن النطاح أملح لفظاً ، وزاد أبو الطيب :
" إنه يجدى عليه روحه " ولكن في اللفظ قصور والأول نهاية في الحسن .
وقول الأعشى :

ولو أسندت ميتاً إلى نحرها **عاش ولم ينقل إلى قابر(٢٣١)**

وقال المتنبي :

٢٣٠ - راجع الديوان ٢٦ / ١ .
٢٣١ - ديوان الأعشى .



فدقت ماء حياة من مقبلها لو صاب تربا لأحيا سالف الأمم (٢٣٢)

ولعلك تلاحظ الفارق بين المعنيين ، وتناول الشاعرين المعنى فإنك واجد اختلافًا في طريقة تناول ، وتحلية المعنى . فالأعشى يقول : إنها جميلة فانتة غضة بضة طريئة ناعمة بحيث لو أسندت ميتا إلى نحرها لعادت إليه الحياة ولم ينقل إلى مقبرة . ولا ريب أنها مبالغة في وصف الجمال ، والافتتان به وتناول المعنى نفسه " المتنبى " فتراه يقول :

فدقت رضابها وهو ماء حياة لو أنه أصاب تربا لأحيا الراحلين من الأموات
في سالف الزمن . وتلك فكرة فلسفية تلك التي تناولها " المعترى " في قوله :

خف الوطاء فما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد (٢٣٣)

والمدقق في بيت " المتنبى " - يجده أقوى لفظا ، وأجود معنى ، وأمتن نسجا وأحسن رونقا وبهاء ، وذلك لما اشتمل عليه من وضوح وعذوبة ، وسلامة ورقة وجمال .

٢٣٢ - راجع الديوان ٣٧ / ٤ .
٢٣٣ - راجع الديوان .

